90065

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Araştırmaları Merkezi

مصادر ثقافة

أبى العلاء المعرى

من خلال ديوان لزوم ما لا يلزم

دكتور على كنجيان خنارى

الدار الثقافية للنشر

عنوان الكتاب : مصادر ثقافة أبى العلاء المعرى
اسم المؤلف : د. على كنجيان خنارى
17 x 24 سم . 264 ص .
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2000/17298
اسم الناشر : الدار الثقافية للنشر

Massader Thakafat Abi Al-Ala'i
Ali Kangian Khenaree
17 x 24 cm. 264 p.
ISBN: 977 - 339 - 024 - 1

الطبعة الأولى
1422 هـ/ 2001 م

كافة حقوق النشر والطبع محفوظة للناشر
الدار الثقافية للنشر - القاهرة
ص.ب 134 بانوراما اكتوبر 11811 - تليفاكس 4172769
Email: sales @thakafia.com

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد ﷺ .

الآن وبعد أن فرغت من إعداد هذا البحث أقدم الشكر أجزله لأستاذى العلامة الجليل البروفسير عبد الله الطيب المجذوب الذى تولى إرشادى ونصحى طوال فترة الدراسة ولم يبخل على بتوجيهاته وإرشاداته فقد كانت لتوجيهاته القيمة الأثر الأكبر فى إخراج هذا البحث .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المبجلة الدكتورة فوزية عثمان علم الدين رئيسة شعبة اللغة العربية ، والشكر موصول لأسرة مكتبات جامعة الخرطوم وجميع إخوتى وأخواتى فى السودان الذين لن أنسى أياديهم البيضاء على . والشكر لله أولاً وأخيراً .

المؤلف

المقدمة

يعتبر المعرى ، من الشعراء الأفذاذ بين أعلام الشعر والأدب ، فى العصور الأدبية الزاهرة ، التى شهدتها لغة الضاد ، إذ لم يجتمع لأحد من الذين سبقوه أو جاءوا بعده ، مثلما اجتمع له من علم وسعة معرفة وعمق تجربة ، فبذهم بعبقريته المتفردة .

تشتمل هذه الدراسة التى تحمل عنوان (مصادر ثقافة أبى العلاء المعرى من خلال ديوان لزوم ما لا يلزم) على تمهيد ، يتناول بالبحث عصر أبى العلاء والحياة السياسية والاجتماعية ، وكذلك الحياة الأدبية فيه ، لما لذلك من أثر فى تكوين شخصية الأديب وفى نتاجه ، وقد لاحظت فى شعر المعرى ، صورة واضحة لأحوال الحياة السياسية والاجتماعية السائدة فى زمانه بكل نقائضها ، وقد أرخ أبو العلاء للحياة السياسية فى عصره فى جزء كبير من إشعاره كذلك أرخ للحياة الاجتماعية فى قصائد عدة فى ديوان لزوم ما لا يلزم ، وديوان سقط الزند ، حيث يبين القلق الذى كان يسود المجتمع واضطراب القيم فيه ، فوصف النفاق الذى كان يسود مجالس بغداد وغيرها من كبريات المدن . وأرخ للحياة الأدبية فى عصره إذ كانت له صلات قوية بأدباء عصره ، تشهد بذلك رسائله وأشعاره ، وقد نقد أشعار معاصريه وكان له نشاط واسع فى ميدان الأدب ، ومما قدم فى هذا المجال شرح ديوان البحترى الذى سمّاه عبث الوليد كما شرح ديوان أبى تمام وسماه (ذكرى حبيب) وديوان المتنبى وسـماه (معجز أحمد) كذلك أرّخ للحياة الدينية فى عصره ، ونجد ذلك فى مدحه لعدد كبير من الفقهاء وآل البيت ، كما أنّ شعره قد تضمن مناحى فكرية مختلفة ، ووردت الأساطير والأمثال العربية السائرة فى ديوان "لزوم ما لا يلزم" وديوان "سقط الزند" ، وكذلك له إشارات كثيرة إلى علم الفلك والنجوم يُكثر منها ويذكر مواقعها .

ثم أقدم الرسالة بعد التمهيد ، بدراسة عن حياة الشاعر ومولده ونشأته وشيوخه وما يتعلق بحياته الخاصة تعقبها فصول الرسالة المختلفة .

واعتمد فى سيرة المعرى على المصادر القديمة التى أرّخت لحياته منها (معجم الأدباء) لياقوت الحموى ، و"سفرنامه" لناصر خسرو الرحالة الفارسى ، وكذلك "الوافى بالوفيات" للصفدى و"وفيات الأعيان" لابن خلكان ، وغيرها من المصادر التى عنيت بذكر حياته . أما أشعار أبى العلاء ولا سيما تلك التى وردت فى ديوان "لزوم ما لا يلزم" ، فهى المصدر الأساسى الذى سأعتمده فى سيرة حياته ، فقد أرخ أبو العلاء لكثير من أحداث حياته .

وفى هذا التمهيد سأشير إلى مؤلفاته العديدة التى ذكرها المؤرخون ، ولكن لم يصل إلينا إلا

أقلها، وقد وصف المعرى بعض مؤلفاته هذه وشرح بعضها وسنشير فى متن البحث إلى قسم من هذه المؤلفات ليلم القارئ بطرف منها.

يلى التمهيد الفصل الأول من هذا البحث وسيكون موضوعه (دواوين أشعار العرب مع عناية خاصة بأبى الطيب المتنبى، ذلك لأن المعرى استقى مادة ديوان "لزوم ما لا يلزم" من مصادر مختلفة وكان أهمها دواوين أشعار العرب، فقد عرف المعرى بأنه كان قوى الذاكرة، حافظا لأشعار السابقين من شعراء العرب، متأثرا بهم فى نظمه ومؤلفاته. وأرى أن أبا الطيب المتنبى، قد استحوذ على فكر المعرى واستفاد من بين شعراء العربية، من تجاربه الشعرية وتأثر به تأثرا واضحا، لذلك سيحتوى هذا الفصل دراسة عن تأثير دواوين أشعار العرب على المعرى فى نظم "ديوان لزوم ما لا يلزم" مع عناية خاصة بأبى الطيب المتنبى.

سيتناول الفصل الثانى الحوادث التاريخية فى ديوان "لزوم ما لا يلزم"، ذلك أن شعر المعرى حوى جزءاً غير يسير من الحوادث التاريخية المختلفة، وهذه الإشارات تدل دلالة واضحة على سعة إطلاعه على التاريخ، وعلى قدرته فى استخدام الحوادث التاريخية لأغراضه الفكرية الخاصة وغنى عن البيان أنّه عرض لمثل هذه الحوادث، من أجل إيراد المثل، وسوق العبرة، وقد اكتفى المعرى منها بالإشارة المقتضبة وأطال فى التعليق.

والفصل الثالث يتناول بالبحث موضوع علم الفلك والنجوم، فى ديوان لزوم ما لا يلزم، إذ أن هذا الديوان ضم ثروة كبيرة من علم الفلك والنجوم، وقد أبدع المعرى، فى وصف النجوم، وأكثر من ذكرها فى قصائده، وقد تنوع وصف النجوم من الوصف العلمى الدقيق للشمس والقمر ومنازل النجوم وأبراج السماء، إلى ضرب الأمثال بالنجوم، فيما يخص الحياة والموت، واستعمالها فى التشبيهات بما جرت عليه ألسنة الشعراء العرب، من تشبيه السماك بالعلو، والثريا بالحسن، والمريخ بالحمرة والاتقاد.

وسنحاول من خلال عرضنا معرفة ما إذا كان المعرى، قد استقى معلوماته عن الفلك والنجوم، من كتب الفلك أم من أشعار العرب التى قد وصف أصحابها فيها النجوم وأبراج السماء وصفا دقيقاً.

ويحتوى الفصل الرابع على الأساطير والأمثال فى ديوان لزوم ما لا يلزم، فقد أكثر المعرى من ذكر الأساطير تصريحا وتلميحا وهى كثيرة أوردها ليثبت كذبها وجهل السذج الذين يصدقونها، أما الأمثال العربية السائرة فقد استخدمها لأغراضه الفكرية الخاصة.

والفصل الخامس يضم دراسة عن الإسلام والأديان السابقة فى الديوان، إذ إن الدين يعتبر من أهم المصادر التى استقى منه المعرى مادة ديوانه، إلا أنه لم يخص دينا واحدا باهتمامه، بل ضرب جميع الأديان على محك التجربة والعقل وانتقدها بجرأة نادرة.

لقد تناول المعرى جميع الأديان فى هذا الديوان إلا أنه أولى اهتماما أكثر بالدين الإسلامى، حيث تطرق إلى خلاف السنة والشيعة، ونقد الخلاف بين المهاجرين والأنصار، وسخر من الصوفية وحلقاتهم وضمّن أشعاره آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة.

سيتضمن البحث المواضيع الآنفة الذكر فى فصول خمسة وسوف أختمه بكلمة موجزة تبين ما توصلت إليه من خلال البحث.

تمهيد

يخضع الإنسان فى جميع أطوار حياته وفى علمه وأدبه، لزمانه ومكانه اللذين يشتركان فى تأليف مزاجه، وتصوير نفسه، من غير أن يكون له عليهما ـ فى الغالب الأعم ـ سيطرة أو سلطان.

وليس أبو العلاء المعرى الذى نحن بصدد دراسة حياته وشعره، إلا ثمرة من ثمرات عصره الذى عمل فى إنضاجها عوامل متنوعة، منها الزمان والمكان والحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية فى ذلك العصر، ولكى نفهم شخصية المعرى وشعره، فلابد من الإلمام بكل هذه المناحى؛ ذلك أن أثر البيئة يبرز واضحا فى نمط تفكيره وطريقة حياته، وما تشاؤمه وفلسفته الخاصة إلا نتيجة لما آلت إليه الأمور من الفوضى والاضطراب فى ذلك العصر.

ولد أبو العلاء فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى فى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وعاش حتى سنة تسع وأربعين وأربعمائة[1].

لدراسة الحياة السياسية فى ذلك العصر، يجب أن نلمّ إلمامة سريعة بالأوضاع السياسية قبل مولد أبى العلاء، وأثناء حياته، إذ أن هذه الأحداث التى عاشها المعرى وتكلم عنها غير مرة فى آثاره، كانت شديدة الصلة بالأحداث التى سبقت مولده.

الحياة السياسية فى عصر المعرى:

تنقسم الحياة السياسية فى العصر العباسى إلى قسمين، أحدهما كان قبل مولد أبى العلاء والثانى فى عصر أبى العلاء ومن بعده، أحدهما عصر الخلفاء والثانى عصر الملوك كما يسميه الدكتور طه حسين، ويسمى العصر الأول بعصر الخلفاء لأن السلطة فيه قد كانت للخلفاء حقيقة فهم كانوا يولّون ويعزلون، وندلّ على الثانى، (عصر الملوك) بهذا اللفظ، لأن السلطة فيه قد انتقلت من الخلفاء إلى الولاة وحكام الدويلات الصغيرة بالحضرة والأطراف.

كما أننا نستطيع أن نقسم هذا العصر إلى قسمين آخرين، الأول عصر القوة والثانى عصر الضعف، وينقسم عصر الملوك نفسه إلى عصر الديلم وعصر السلاجقة[2].

يبدأ عصر قوة الخلفاء بقيام الدولة العباسية، عندما أخمدت نيران الفتن والثورات المحيطة بهذه

---

(١) معجم الأدباء، ياقوت الحموى. ـ فى عشرين جزءاً ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة. ١٩٨٠م. ج١٢، ص ١٠٨.

(٢) تجديد ذكرى أبى العلاء. د. طه حسين. مطبعة دار المعارف بمصر. الطبعة التاسعة. ص ٤٣.